يانيس ريتسوس

إيماءات

ترجمة: سعدي يوسف

منشورات الجمل
شعر

إيماءات

يانيس ريتسوس

إيماءات

ترجمة

سعدي يوسف

منشورات الجمل

وُلد سعدي يوسف في البصرة عام ١٩٣٤. تخرج من دار المعلمين ببغداد سنة ١٩٥٤. عمل في الصحافة وتنقّل بين عدّة بلدان ويقيم اليوم بلندن. نشر العديد من الترجمات الشعرية والنثرية، وكتب القصة والرواية، كما تُرجمت أشعاره إلى العديد من اللغات ونال العديد من الجوائز الأدبية في البلدان العربية والعالمية. من أعماله الأدبية وترجماته الأدبية: **القرصان**، شعر (١٩٥٣)؛ **أغنيات ليست للآخرين**، شعر (١٩٥٥)؛ **قصائد مرئية**، شعر (١٩٦٥)؛ **نهايات الشمال الأفريقي**، شعر (١٩٧٢)؛ **الأخضر بن يوسف ومشاغله**، شعر (١٩٧٢)؛ **والت ويتمان: أوراق العشب**، ترجمة (١٩٧٦)؛ **تحت جدارية فائق حسن**، شعر (١٩٧٤)؛ **قصائد أقل صمتاً**، شعر (١٩٧٩)؛ **خذ وردة الثلج، خذ القيروانية**، شعر (١٩٨٧)؛ **قصائد باريس، قصائد إيثاكا**، شعر (١٩٩٢)؛ **كافافي: وداعاً للإسكندرية التي تفقدها**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **يانيس ريتسوس: إيماءات**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **لوركا: الأغاني وما بعدها**، ترجمة (١٩٨١)؛ **فاسكو بوبا: شجرة ليمون في القلب**، ترجمة (١٩٨١)؛ **غونار أكليف: ديوان الأمير وحكاية فاطمة**، ترجمة (١٩٨١)؛ **أونغاريتي: سماء صافية**، ترجمة (١٩٨١)؛ **هولان: قصائد**، ترجمة (١٩٨١)؛ **هنري ميللر: رامبو وزمن القتلة**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **نغوجي واثيونغو: تويجات الدم**، ترجمة (١٩٨٢)؛ **ديفيد معلوف: حياة متخيلة**، ترجمة (١٩٩٨)؛ **وولي سوينكا: المفسّرون**، ترجمة (١٩٨٦).

يانيس رتسوس، **إيماءات**، ترجمة: سعدي يوسف
الطبعة الأولى، جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس باللغة العربية
محفوظة **لمنشورات الجمل**، بغداد ـ بيروت، ٢٠١٠
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣، بيروت ـ لبنان
تلفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ١ ٠١ (٠٠٩٦١)

© *Al-Kamel Verlag* 2010
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a.N . Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

لماذا ترجمت يانيس ريتسوس؟

لم يكن اهتمامي بـ«ريتسوس» وليد الحديث الواسع الذي يدور حوله الآن في عواصم ثقافية عدة. كنت أرصده من بعيد، وأترصد القصائد التي تنشر له باللغة العربية، وهي قليلة جداً، وكانت لي علاقة بنشر عدد من قصائده في صحافة العراق.

لقد أحسست، دائماً، وأنا أقرأ ريتسوس، أن وراء قصيدته جهداً عظيماً، وروحاً مصفاة، صافية، أوصلت قصيدة الحياة اليومية، لديه، إلى هذه القطعة الغريبة من البلّور.

إن قصيدته ـ قصيدة الظاهر اليومية المتشربة بميثولوجيا معادة التركيب ـ هذه القصيدة تمثل مفخرة للشعر الطليعي ومن هنا تأتي القيمة التربوية لقصيدته حين تكون متيسرة أمام القارئ العربي... بل أمام الشعراء العرب، والشباب منهم بخاصة. يانيس ريتسوس، الوريث الجميل للقبضة العالية لدى شعبه المناضل، يحمل إلينا ـ عبر قصيدته ذات الصرخة المكتومة ـ مسيرة شعبٍ صديق نحو الحرية العظمى، ومثل ما قال هو نفسه:

إن كان هو الموت دائماً ـ

فهو يأتي تالياً.

الحرية، أبداً، هي الأولى.

***

بعد ثلاثة وأربعين عاماً، من المسيرة الشعرية، ينال ريتسوس جائزة لينين. أي مسيرة مفعمة بالنضال والجمال!.

وأي تحققٍ باهر!

إن الكتاب الذي يضم سبعين قصيدة من قصائد ريتسوس يحمل اسم «إيماءات». وقد ترجمت القصائد عن اللغة الانجليزية في جو من اللهفة، والقرب... بحيث خيّل إليّ أنني اقترب ـ أحياناً ـ من لحظات كتابة ريتسوس قصيدتَهُ!

سعدي يوسف
١٩٧٩

من مجموعة : **أحجار** ١٩٦٨

تلاشٍ

أشكال متلاشية، تتحرّك ـ شعور بالاضطراب،
مائية خادعة ـ صوتُ الماءِ يحيط بكَ،
متغيراً، عميقاً، جامحاً...
إنك لجامح أيضاً.
بل لتكاد تكون حراً.
ثمّ... تأتي نسوة مرتبكات
وشيوخ، بجرار، وعلب قصدير، وقدور
يجمعون الماء لبيوتهم.
الماء يتشكل.
والنهر صامت كما لو كان فارغاً.
الغسق يهبط، والأبواق تُغلق.
وتظل امرأة واحدة، بلا جرةٍ، في الحديقة،
امرأة من الماء...

شفافة في ضوء القمر.

وزهرةً في شعرها.

١٩٦٨/٥/١٥

***

شيء لم ينجز

غيوم على الجبل.
من المعلوم؟ ما الملوم؟
صامتاً، متعباً، ينظر أمامه
يستدير، ينحني
الصخور في الأسفل،
والطيور في الأعلى.
جرّة في النافذة
ونباتات شوكية في الوادي.
يداه في الجيب.
ذرائع، ذرائع، القصيدة تتأخر. فارغ.
الكلمة يدل عليها ما تخفي.

١٩٦٨/٥/١٥

***

إخبار

وجوه معتّمة

يضيئها الانعكاسُ الآتي من المرآة الوسيعة.

جرسُ الباب يدق.

لم يتحرّك أحد.

والصوتُ خرج من النافذة إلى الليل.

عائداً إلى مَن دق الجرس.

إنه الآن هادئ، كما لو حقّق مصيره...

سار نحو البوابة

توقف

اقتطف زهرةً

وحشرها في قميصه.

قال: «شيء حسن»...

«شيء حسن أنهم لم يفتحوا».

لم يسأل عنه أحد،

لم يرسله أحد، ولم يكن لديه شيء يخبر به...
إنها، حَسبُ، تلك الضجة العميقة التي تدق
لكل واحد منهم، وله هو نفسه.

١٩٦٨/٥/١٦

***

لا، لا

تلك الأشياءُ البطوليةُ الجميلة
(قد تكون ساذجة ـ لكنها ما تزال جميلة) ـ
الأحجارُ البيضُ الكبيرة
المطارق
الرجال يخلعون ملابسهم في الوِرَش
(أكثرهم مصارعون مفتولو العضل)
إن تتخذهم نماذجَ، مقلداً أفعال الآخرين ـ
ذراعاً مرفوعة رائعة،
ساقين متباعدتين في مبالغة التوازن ـ لا، لا،
الأمر ليس فكاهةً... هكذا قال...
الأمر يتجاوز الحزنَ ـ
ذلك الكلب الهزيل، المليء قراداً وجروحاً،
والذي يشرب الماء القذر من السطل
متروك لصقَ التماثيل شبه العارية للأبطال الموتى.

١٩٦٨/٥/١٧

***

عمل أولي

إنهم يجلسونَ جلستهم الجميلة تحت الشجر، في البقع الشمسية،

على كراسي الخيش ذات المساند

على كراسي بلا مساند ولا ظهور

على كراسيّ

أمام الأسلاك الشائكة،

كما لو أن جلستهم رُتّبت ليُرسموا

إنهم يلعبون النرد

إنهم يقرأون،

إنهم صامتون ـ إنهم لا يسمعون ـ

خلفهم شريط بحريّ

أزرقُ شاحب، فضيّ

وهم من الجمال، بحيث لا يحتاجون إلى أن يسألوا أسئلةً،

إنهم لايعرفون.

وحيث تنتهي الأشجار،

هناك صبيّ نحيل

يضع منشفة قذرة على كتفه

وينحني، وهو يجمع قناني الليموناد الفارغة...

ذاتَ الزجاجِ العائم الدافئ.

١٩٦٨/٥/٢٢

***

بالاكراه

يرقد على وجهه
فكّهُ في التراب
وعنقهُ بين ركبتي الآخر...
إنه ليغدو أزرقَ
والعروق تنتفخُ عند صدغيه.
ما تزال ثمة حركة...
أهي الرجفةُ الأخيرة؟
أغلقْ عينيك. لا، لا.
إنه، ببساطة، استسلامٌ جميل، الجسد يسترخي.
وشيئاً فشيئاً، تمر ابتسامة على وجهه،
مثل من ينظر إلى البحر عبر نافذة
(صحيح، إن النافذة كانت ضيقة نوعاً ما)
أو مثل رأس نبيل، دون جسد ـ إنه يستطيع
أن يتحكم بتعبيره،

أجل، أجل، إنه يبتسم،
السكين الحمراء في الصينية.
وثمّة مزهريتان ذواتا زهرٍ على كل جانب.
أسنانهُ تلتمع في الشمس، ذهبيةً، طويلةً
وحربتان صغيرتان تحرسان جثَته
أمام البوابة الضيقة للأبدية العنيفة العتيقة.

٢٥/٥/١٩٦٨

***

من مجموعة : **إعادات** ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩

١٧ آذار ـ ٢٩ تشرين أول ١٩٦٨ : معسكر ليروس للاعتقال.

٢٩ أيار ـ ٢٧ حزيران ١٩٦٩ : معسكر كارلوفاسي ـ ساموس.

غائبون

آخرون قرّروا، آخرون تكلموا باسمهم.

وهم، كما لو كانوا غائبين، مثل الخارجين على القانون

(خارجين على القانون، حقاً) ـ

سمعوا أسماءهم في مكبرات الصوت،

وأنصتوا للإتهامات

ولإداناتهم،

رأوا أكداساً من العلامات ـ كم من تهديدات وتحريمات ـ

علامات معدنية لم تُقرأ.

وبعيداً

بعيداً في أراضٍ غريبة...

هم الذين آمنوا يوماً، بواجباتهم،

بواجبات المواطن،

هم، المليئون بالمعرفة (عن ظهر قلب)...

هم، الجميلون، الذين يصدّقون بسرعة.

واليوم...

ليس ثمة معبد «امفيارو»[1]

وعلى التلة الصخرية المغطاة بالزنبق،

ليس ثمة أكباش قُربانٍ سود...

وأنك لا تستطيع أن تمضي الليل هناك

ملتفاً بالجلود التي ما تزال دافئة، للأنعام الذبيحة،

آملاً إشراقةً ولو في الخيال.

آملاً طريق خلاص

آملاً عشبةً تشفي الوطن، العالم بأسره (كما يؤمنون)،

وملقيا قطعة نقد ذهب كبيرة في النبع،

ممتنّاً.

مع أن المبتدئين، لم يجدوا سوى فلوس نحاس في نبع امفيارو

ولكن... لا عجب ـ

فالناس ينسون وعودهم...

والذهبُ، كان دائماً ثميناً.

١٩/٣/١٩٦٨

***

(١) معبد امفيارو سمي باسم العراف امفياروس، في الميثولوجيا الاغريقية. (المترجم)

قبور الأسلاف

علينا أن نحرس قبور موتانا.

فقد ينبشها أعداؤنا، ويستلبونها...

إذّاك، سنكون في خطر مضاعفٍ، دون حمايتهم.

كيف لنا أن نحيا دون بيوتنا

دون أثاثنا وحقولنا...

بل، دون قبور أسلافنا المقاتلين... وفلاسفتنا؟

تذكروا كيف سرق الاسبارطيون عظام دريستس من تيجيا[١].

يجب أن يجهل اعداؤنا أين دُفن أسلافنا...

ومتى سينهضون، وممّ...

وخيرٌ أن لا تكون شواهدُ بارزةٌ... وزينةٌ برّاقةٌ ـ

فهي تثير الانتباه والحسد

إن موتانا لا يحتاجون إليها.

---

(١) تيجيا: مدينة اغريقية قديمة في البلوبونيز. كانت في حروب ـ وتحالفات ـ مع اسبارطة. (المترجم)

إنهم راضون بالقليل، متواضعون، صامتون الآن

إنهم لا يبالون بالنذور، والأمجاد الباطلة.

والخيرُ، أن يكون لهم حَجَر بسيط

أو مزهريةُ جيرانيوم... علامة سرية...

أو حتى لا شيء.

والأسلم أن نحتفظ بهم في دواخلنا إن استطعنا.

بل إنه من الأفضل أن لا نعرف أين يرقدون.

فما دامت الأشياءُ تسيرُ كما هي عليه الآن...

ـ من يدري ـ

فربتما نبشناهم نحن أنفسنا، بأيدينا... يوماً

ورميناهم بعيداً.

١٩٦٨/٣/٢٠

***

بعد الهزيمة

بعد أن تحطّم الأثينيون على أنهار ايغور،

بعد هذا بقليل،

بعد هزيمتنا النهائية...

اختفت أحاديثنا الحرةُ

والمجدُ البركليسي

والفنونُ المزدهرة

والجمنازيوم، ومنتدى فلاسفتنا.

اليوم، يحل الظلام

والصمتُ الثقيلُ في ساحة السوق

وترخيصُ الطغاةِ الثلاثين.

كل شيء (حتى ما هو عائد إلينا)

أضحى لا يستطيع المثولَ طالباً الدفعَ أو التبرير.

أو حتى الاعتراضَ الشكلي.

أُحرقت أوراقنا وكتبنا

وتفسَّخَ شرفُ بلادنا.
وحتى لو سُمحَ لصديق قديم بأن يأتي شاهداً
فإنه سيرفضُ، خوف الوقوعِ في المأزق ذاته ـ
سيكون محقّاً، طبعاً.
لذا من الخير أن نكون هنا ـ ومن يدري
ربما استطعنا أن نكونَ على اتصالٍ طريّ بالطبيعة،
ونحن ننظر إلى مجتزأ من البحر، عبر الأسلاك الشائكةِ،
والصخور، والأعشابِ،
أو إلى سحابةِ غروبٍ، عميقةٍ، بنفسجيةٍ، متحركةٍ.
وربما جاء «كيمون» جديد، يوماً[1]
يقوده، سرّاً، ذلك السرُّ نفسه....
وسوف يحفر ليلقى سنانَ رمحنا، صدئاً،
يكاد يبلى
وربما أخذه إلى أثينا. في موكب حزنٍ، أو انتصارٍ
مع الموسيقى وأكاليل الغار.

١٩٦٨/٣/٢١

***

(١) كيمون ابن مليتادس. اعتاد أن يقيم في منزله مآدب تكفي أفراد ديموسه (قبيلته). وكان يسمح للمسافرين بتناول الفواكه المزروعة في أرضه. ويبدو ـ كما يقول بلوتارخ ـ أنه أعاد إلى العالم مجتمع الأخيار الذي كان زمن الاله كورنوس. حين أخرجت الأرض من أطايبها ما مكّن الناس جميعاً من العيش متساوين سعداء. ويتلمس بلوتارخ هنا أثراً من الشيوعية البدائية. (المترجم)

وأحكي عنهم...

كما انحططنا
وكما انحطّت الكلماتُ والأفكارُ،
لا يمكننا أن نضيقَ ذرعاً
بالأمجاد السالفة أو الطارفة
بكتبِ السيرة التي ألّفها ارستيدس[1]
وحين يشرع أحدنا يتذكر عن الثلاثمائة أو المائتين،
فإن الآخرين يبادرونه بنظرةِ احتقارٍ
أو في الأقل، بنظرة شك.
لكن، أحياناً.. وكما هو الأمرُ الآن،
حين يصفو الجو ـ في يومِ أحدٍ، والمرءُ جالس
تحت شجرة يوكالبتوس،
في هذا الضوء الذي لا يرحم،
يستولي على الانسان حينن خفيّ للأمجاد الماضية

---

(١) ارستيدس: كاتب سير. ولد عام ١٢٠ بعد الميلاد.

ـ ولا يهم إن كنا نسمّيها رخيصةً ـ
عندما ينطلق الموكبُ في الغَبشِ،
أمام نافخِ البوقِ، خلف العرباتِ المثقلةِ بالآس والغار،
ثم الثور الأسود، والشبانُ يحملون أباريقَ الخمرِ والحليبِ، نُذوراً
وقناني الزيت والطيب الجميلة ـ
لكن ما أكثر ما كان يدهش، في آخر الموكب، مرتدياً الأرجوان
هو أرخون بلاطيا[1]
الذي كان يحرَّم عليه، طيلة العام، أن يلمس الحديد
ويُفرض عليه، طيلة العام، أن يرتدي الأبيض...
اليوم يرتدي الارجوان
ويحملُ سيفاً طويلاً... يقطع المدينةَ مهيباً
نحو قبور الأبطال
ممسكاً بإبريقٍ من أواني الدولة،
وبعد أن تُغسل حجارةُ القبور
وبعد أن تُقدّم القرابينُ الغنية
كان يرفع كأسَ الخمرِ، ويهرقه على القبور، مردداً:
«إنني أقدّمُ هذا الكأسَ لأشجعِ الرجالِ الذين سقطوا
من أجل حرية الاغريق» ـ

---

(١) الأرخون: أعلى منصب مدني في المدينة الاغريقية. وبلاطيا مدينة اغريقية دافع عنها أهلها دفاعاً مجيداً بمواجهة اسبارطة. (المترجم).

فتخترقُ ارتعاشة، غابات الغار القريبة...
ارتعاشة ما تزال تخفقُ في أوراق اليوكالبتوسات،
وعلى هذه الثياب الممزّقةِ، المفوفةِ الألوان...
المنشورةِ في الشمس، حتى تجفّ.

١٩٦٨/٣/٢٢

***

بعد انهيار المعاهدة بين الأثينيين واللاسيدامونيين[1]

كورنثة، أرجوس، إسبارطة، أثينا، سيكيون ـ
والعديد العديد من دويلات المدن ـ
لقد تهشّم الأغريقُ ألف قطعةٍ،
فالمعاهدةُ العظمى انهارت،
والكلُّ مليء بالمرارة ـ اجتماعات جديدة، مؤامرات، مؤتمرات
وأولئك الذين كانوا، حتى أمس، فقط، أصدقاء وجيرانا،
لا يحيِّي أحدهم الآخر في الطريق، اليوم ـ
العداوات القديمة تبرز رؤوسها ثانية،
وتُستطلَع، وتُهيَّأ، تحالفات جديدة
نقيضة، تماماً، لتحالفاتِ أمسِ.

(١) أثينا ولاسيديمونيا. كانتا ـ بمواجهة الفرس ـ أقوى دويلات المدن الاغريقية، الأولى بحرياً، والثانية برياً. وكان يلتف حول كل واحدة منهما حلفاء من الدويلات الأخرى. لذا كانت معاهدة التحالف بينهما تعني وحدة بلاد الاغريق إزاء الغزو الفارسي. (المترجم).

مبعوثون يجيئون، سراً، في الليل
وآخرون يغادرون.
تماثيلُ الأبطالِ مهملة في ساحات المدينة
وتلك التي في الحدائق العامة يغطيها ذرقُ الطيور
في ساحات السوق يتجادل الناسُ جماعاتٍ
بعمقٍ، وحميّةٍ، وتأثرٍ:
«من أَمَرَهم؟ من نصّبهم؟»
«على أي حال.. نحن لم نصوّتْ لهم (كيف... ثم أن.. متى؟)»
«أَسَادةٌ جددٌ ثانيةً؟ ـ الخيرُ أن نكون بدونهم»
إنه نيسان.
شجيراتُ الفلفل تخضرُّ في المماشي الجانبية ـ
خضرة نبيلة، رقيقة (هزّتنا) كالأطفال،
مع أنها كانت شجيراتٍ مغبرةً، يبدو أن الخدمات البلدية في فوضى شاملة،
فهم لم يعودوا يقومون
حتى برشِّ الشوارعِ بعد الظهر.
لكن اليوم
حقّق أول سنونو ظهوره المفاجئ
تحت أعمدة بناية البرلمان
وهتفَ الكلُ: «سنونو، ثمة سنونو، ثمة سنونو»
الكل هتفوا، في صوت واحد، حتى الخصوم الألداء: سنونو...

وفجأة صمتوا.

أحسّوا بأنفسهم منفردين، معزولين

لكن.. أحراراً أيضاً،

كما لو أنّ الزمن وحّدهم في عزلةٍ عامةٍ،

إذاك أدركوا أن حريتهم الوحيدةَ، هي في انفرادهم...

وحتى هذا (مع أنه أمر غير ملموس) مهدّد

معرّض للاقتحام، وحده، بألفِ كمينٍ.

١٩٦٨/٤/٤

***

خراب الآرجو

هذه الليلةَ، ونحنُ نتحدّثُ عن الأشياء كيف تمرّ
عن العصر إذ يغدو رخيصاً ـ النساء الجميلات،
المآثر، القصائد ـ تذكّرنا السفينةَ الاسطوريةَ
عندما أُبلغت كورنثة في ليلة ربيع[1]
سفينة تآكلتها الأرضة..
سفينة متضائلة
تخلّعت مساند مجاذيفها
سفينة مليئة بالمِزَق، والثقوب، والذكرى.
الموكب المديد عبر الغابات،
بالمشاعل، والأكاليل، والنايات، ومسابقات الشبيبة
كانت الآرجو العتيقة قرباناً رائعاً لمعبد بوزيدون[2].
الليلُ جميلٌ

---

(١) كورنثة: مدينة يونانية تقع على خليج يحمل الاسم نفسه.
(٢) بوزيدون: اله البحر.

والكهنةُ يرتّلون.
نعيبُ بومٍ من مثلّثِ المعبدِ[1]
والراقصون يقفزون خفافاً على السفينة
مقلّدين العملَ الخشنَ، برشاقةٍ غير لائقةٍ...
حركة لمجاذيفَ غير مرئيةٍ
عَرَقٌ
دمٌ.
بحّار عجوز يبصق على أقدامهم
ويتمشّى مبتعداً، نحو الغابة الصغيرة
ليبوّل.

٧/ ٥/ ١٩٦٨

***

(١) مثلث المعبد، القسم العلوي من واجهة المعبد الاغريقي (المترجم).

حياتنا في فيرس

مصائبنا جعلتنا نؤمن بالخرافة ـ
نحن ندوسُ ظلالَ أجنحةِ الطيور، وظلالَ الأوراقِ
نحن ننصت إلى أصوات غير مسموعة
نحن نقفو أثر خطانا
نحن ندخل المعبد على أطراف أصابعنا في مهبطِ الليلِ
نحن نحرق البخورَ عند المذبح.
نحن نسكب الزّيتَ في قناديلِ النذورِ
نحن نضع قرابيننا على المذابح
نحن نهمس في مسمع اللّه:
أيان؟ أنّى؟ بِمَ؟
ثم نغلق آذاننا، ونغادر.
وإذ نبلغ ساحة السوقِ، نفتح آذاننا ـ
أولُ كلمةٍ سنسمعها
ستكون جوابَ اللّه.

لم تكن الكلمة ما أمّلناه أبداً ـ
أنكون قد أخطأنا السمعَ؟
وهكذا، أعدنا، مرة أخرى، الروتين المضجرَ كله ـ
المعبد، قناديل النذور، القربان، ساحة السوق
حتى أغلقت الدكاكين، وأطفئت الأنوار.
وفي الشارع، حيث نسير وحيدين، لصقَ الجدرانِ
كنا نقلّب الكلمةَ تقليباً في أذهاننا
حرفاً حرفاً...
ونعكس قراءة مقاطعها
لكن.. ما زلنا لا نتلقّى ما نريد.
هكذا أمضينا حياتنا في فيرس
بين ساحةِ السوقِ المهجورةِ
والنبوءةِ المنحوسةِ.

١٩٦٨/٦/١٧

***

يأس بنيلوب

لم يكن السبب أنها لم تعرفه
في ضوء النهار الكابي،
وهو متنكّر بأسمالِ الشحّاذِ.
لا...
كانت ثمة علائم جلية:
الندبةُ على صابونة الركبة
الجسدُ المفتولُ
النظرةُ الماكرةُ.
كانت خائفةً
تميل، لائذةً بالجدار،
لقد حاولتْ أن تجدَ لها عذراً ما
أن تجدَ تأخيراً تتفادى به الإجابةَ
كي لا تفضحَ أفكارها.
أمن أجله أضاعت عشرين عاماً

منتظرةً

حالمةً؟

أَمِن أجل هذا الغريبِ الرثِّ

الملطّخِ دماً

المبيضّ اللحية؟

سقطتْ، فاقدةً الكلامَ. على كرسي.

حدّقتْ في العشاق المذبوحين على أرضية القاعة

كما لو كانت تحدّق في رغباتها الميتةِ،

وقالت: أهلاً...

كانت تحس بصوتها قادماً من البعيد

وكأنه صوتُ سواها.

النَّولُ في الزاوية

يُسقط ظلالاً على السقف، كالقفص.

والطيورُ التي نسجتها بخيوطٍ حمرٍ براقةٍ

بين أوراقٍ خضرٍ،

استحالت، بغتةً، رماديةً وسوداءَ

تطيرُ منخفضةً على السماءِ المسطّحةِ لمحنتها النهائية.

١٩٦٨/٩/٢١

***

محراث، بذاته

كان كل شيٍّ، منظّماً، سليماً، منطقياً
بل إنسانياً.
لعبت المعابدُ البلديةُ دورها.
اثينا حملت العدالة: كانت دائمةً حاضرةً، ولو غير مرئية[(١)]
كانت ترأس جلساتِ الأريوس باجوس[(٢)]
وحين تنقسم هيئة المحلفين
يميل ميزانُ العدالةِ دائماً ناحيةَ المتهم.
كانت تلك أياماً صالحةً ـ
حتى لتبدو الآن، إنها لم توجدْ أصلاً.

---

(١) أثينا: الربة، حامية المدينة.
(٢) «محكمة الأريوس باجوس، كانت الأكثر احتراماً واستقلالاً ومهابة من بين جميع مؤسسات الاغريق القانونية وكانت «المشرف على جميع الأشياء». و«حارسة القوانين». وكان في رعايتها «الودائع السرية التي يكمن فيها إنقاذ المدينة». وكانت مكلّفة بالمحافظة على الاعتدال والسلوك الحسن، على أساس المبدأ القائل إن الحكم الصالح يعتمد لا على كثرة التشريعات القانونية، وإنما على صيانة العدل داخل قلوب الناس».

جورج تومسن (اسخيلوس واثينا)
ترجمة: د. صالح جواد الكاظم

ترى هل كانت حقاً؟

أكانت حلماً؟

قد يكون تذكّرها المستديمُ في أمسياتِ الخريفِ الممطرةِ.

مزيّفاً...

حين احتفلنا بحراثة الحقول

انحنى القسيسُ على الأرض ليتتّبعَ الأخدودَ الأولّ

تحت أقدام الاكروبوليس.

ورتّل:

«لا تمنع النار والماء عن أحدٍ.

لا تضلَّ أحداً يسأل عن الطريق.

لا تترك جثة بلا دفنٍ.

لا تقتل الثور الذي يجر المحراثَ».

كلمات جميلة، حقاً. كلمات، حسبُ.. آنذاك. واليوم،

كانت النارُ لإحراق حقولِ جاركَ

وكان الماءُ لإغراقها.

والثورُ، المزيّنُ عنقهُ بشرائط حمرٍ، يغلي في قِدْرِ اللّصِ.

المحراثُ فقط، بذاته (ربما تقوده يد خفية)

ما زال يحرثُ الحقول اليباب المكتظة بالخبازى والسوسن البري.

١٨/١٠/١٩٦٨

***

من مجموعة : **إيماءات** ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠

منتصف الليل

كل ليلةٍ، حين تدق الساعة، الثانية عشرة
تدفع العجوزُ شَعرها، عن عينيها، بحركةٍ غريبةٍ
كما لو كانت تمسكُ من السترةِ، لصّاً قفز من النافذة.
ثم تستيقظ تماماً...
تحتذي خفّيها
وتقتربُ من المرآة...
تنظر إلى نسيج العنكبوت
وإلى قطراتِ الرطوبةِ.
في تلك اللحظةِ بالضبطِ، تسمع أوراقَ الذهبِ الرقيقةَ
تسّاقطُ في الباحةِ المرصوفة،
تسمع زحف الحلزونِ، وهو يتسلق إلى قُفل غرفةِ الخزينِ،
تسمع الديدانَ وهي تضطربُ في الأصيصِ،
والتوابيتِ العتيقةِ.
تقول العجوز، الموتى لا يُبلون الأحذيةَ ـ إنهم يمشون

بنعومةٍ، على أشياءٍ ناعمةٍ.
الموتى يمشون داخلنا،
بل ـ للتوفير ـ أحياناً
يحتذون أحذيتنا.

١٩٦٩/٩/٩

***

في العتمة

مضى مُشعلُ الفوانيسِ، في الغروب، مع سُلَّمه
أشعلَ فوانيسَ الجزيرةِ، كأنه يحفرُ ثقوباً في العتمةِ...
كأنه يحفرُ آباراً صفراءَ، كبيرةً.
في الآبار، تتأرجح الفوانيسُ، منتصبةً، نحاسيةَ الخضرةِ،
غريقةً.
التمعَ صليبٌ فوق برج القديسة بيلاجيا.
نبح كلب خلف الإصطبل
وآخرُ خلف مبنى الكمارك.
لافتةُ الحانةِ غرقتْ بالدّم.
والرجلُ، عاري الصدر، يمسك سكينةً حمراءَ طويلةً.
المرأةُ، ذات الشعر غير المَشيط
تخفقُ البيضَ في طاسة.

١٨/٩/١٩٦٩

***

قرارات غير مؤكدة

ليلاً، في الحقل الحصيد، حول المنزل
ترعى خيول ضخمة. سوداء، غير مرئيةٍ
مربوطة من رجل واحدة.
صوتُ حوافرها على أكوام التبن اليابسةِ
هو علامة الحياةِ الوحيدةُ في العالم.
القمرُ المقعرُ العميقُ يشرق على مبنى الكمارك،
كان مسكوناً بعبثٍ لا حدَّ له
وقال، طبعاً:
إن الشعور بالجمالِ متداخل، دوماً، مع ذلك الإحساس
الأليفِ، لكن المنسيّ، بالعبث.
إن طرقوا الباب فلا تفتحْ،
دعهم يحطمونها.
لماذا نجعلُ أنفسنا حمقى؟
لا، لا.

الأفضل أن تفتحَ

فربما أتوكَ بالحصانِ الخشبي ـ أنت تدري.

٢/ ١٠/ ١٩٦٩

***

تأرجح ساكن

حين قفزتْ لتفتحَ البابَ،
اسقطتْ سلّةَ مكبّات الخيوط ـ
فتدحرجت المكبّاتُ تحت الطاولة، والكراسي،
في زاويا مزعجة ـ
تلك البرتقالية/ الحمراء دخلت في زجاجة المصباح
والبنفسجية، دخلت عميقاً في المرآة،
وتلك الذهبية ـ لم تكن لديها أبداً مكبّة خيط ذهبي ـ
من أين أتت؟
كانت توشك أن تركعَ، لتلتقطها واحدةً واحدةً،
ولترتّبَ الحجرةَ قبل أن تفتح الباب.
لم يكن لديها وقت.
طرقوا ثانية.
وقفت ساكنةً، منكسرةً...
وسقطتْ يداها إلى جنبيها.

وحين تذكرتْ أنّ عليها أن تفتحَ -

لم يكن ثمة أحد.

أهذا هو الشأن مع الشعرِ؟

أهذا، بالضبط، هو الشأنُ مع الشعرِ؟

٤/١٠/١٩٦٩

***

هكذا؟

يقول: هذا المكانُ، والمكانُ الآخرُ.. يبدوان غير مستنفدين.

لقد استطلعتُ هذا البيت ألف مرة.. وكل حين...

استطلعتُ كل زاويةٍ، كل بوصة ـ الأدراجَ، غرف الخزينِ،

الخزاناتِ، السلالم،

استطلعتُ جنب «القاصة»، وخلف المرايا، وداخل المدخنة،

وتحت الزير الثقيل الذي لا يمكن تحريكهُ.

لكن، في الليلة التالية، وجدتُ قطعة نقدٍ قديمةً في المنفضةِ ـ

لم تكن لدي واحدة أبداً.

وحين فتحتُ، يوماً، النافذةَ الموجّهةَ للغرب

وجدتُ شجرةً تامةَ النمو

ولم تكن ثمة شجرة أبداً...

إنني لم أزرعها.

وعلى أغصانها تتدلى أجراس فضة صغيرة

وخيوط

ومرايا صغيرة
وزينة من الورق المقوّى
وكراتُ زجاجٍ مخطّطة
وطيور بيض محنّطة، معلّقة بالأسلاك.

٣٠/ ١٠/ ١٩٦٩

***

إهمال

يقول: هكذا تألفُ كل شيء،
حتى الشيء الذي أدهشنا، يوماً
هو الآن مبتذل بائخ.
ليست الأشياء، وحدها، التي تبهتُ
وإنما عيوننا تبهت أيضاً ـ
إنها الآن تُشيحُ عن الزجاج الملوّن
عن الأضواءِ الإصطناعية الحادة ـ
إنها الأن تفضّل الممراتِ المعتَمةَ
أو الأنفاقَ التي لا تتمايز ـ
إن تماثُلها هو كالزمن.
وأنت لن تفاجأ إذا هطلَ المطرُ فجراً،
أو دقّت ساعة المدينةِ الثانيةَ عشرةَ ظهراً،
أو أن الساعاتِ التي تنتصبُ خارجةً، لا مباليةً،
وحيدةً، كشيفة في المراءِ ـ لا تبتلُّ.

امرأة مجهولة تتجوّلُ حول المنزل،
شعثاءَ الشعرِ
ترتدي جواربَ نايلون مهملة
تنحدر على سَاقيها.

١٩٦٩/١٠/٣١

***

بعد المطر

بعد المطر
تهجسُ زقزقةُ الطيور أكثر إلفاتاً
وتشتّتاً، ووحدةً.
والجبالُ غدت، فجأةً، أكثر طولاً
وكذلك الغيوم.
والألوانُ الرطبةُ أكبرُ على جدران المنزل ـ
وردية، فستقية، زرقاء شاحبة.
والظلّةُ الحمراءُ للحانة تقطر على الأشجار،
كل قطرةٍ ذاتُ نبرةٍ مختلفةٍ، وزمنٍ مختلفٍ،
كالساعات القديمة
الساعات الخشبِ الكبيرةِ، التي فُتحت للتصليح
وقد انكشفت آليّتها ـ
أسنان. وأسنان، وأسنان
تروسُ صغيرة

حركات متشابكة

نوابضُ

أصوات

كلها غير متّسقة. متروكة لقدر أعمى:

عجباً. أي كلمةٍ تستطيع أن ترتّب هذه الساعاتِ الهشيمةَ.

ذاتَ الأحشاءِ المعذبةِ...

في حركةٍ سليمةٍ

وحلقاتٍ، مكتملةٍ؟

١٩٦٩/١١/١

***

مشاهدة

مرّ الفارسُ، خلف شجيرات التين الشوكي.

قال: عرفت التين الشوكي، ولم أعرف الفارس.

مرق طائر مبتعداً عن السقف.

حطَّ على غصن.

طار ثانيةً.

منشفة تخفق على حبل الغسيل ـ

خطٌ أزرقُ شاحب

خطٌ أحمر

خطب برتقالي ـ

أستطيعُ أن أميّز فيها حركاتِ الريحِ غير المتّسقةِ

(ألا تهدّد هذه الحركات؟)

قال: أنا سعيد لأنني ما زلتُ أستطيعُ الرؤية.

لقد أمليتُ ما يعوفهُ العميانُ على آلاتهم في زوايا الشوارع.

إن الاكورديون والقيثار هما القناعان القديمان للأبطال الفزعين

لأن الأبطال فزعون، وهم يقلّدون أكثر مما نفعل نحن.

١٩٦٩/١١/٥

***

الريح في الأقل

ليلٌ، غرفةُ طعامٍ. ذبابٌ على الثريا
ذبابٌ في الصينية
ذبابٌ على الخبز
ذبابٌ على الأقداح.
كان العجوزُ يلوك بنهم،
متجسّساً على الصحون الأخرى.
غطاءُ مائدةٍ أبيضُ، شديدُ البياض.
الريحُ في الشارع، مع مصابيح الشارع
ياللريح، بأنابيبها الطويلة اللامعة الأزّازة،
أنابيبها المولجة سراً في الجدران، وتحت المائدة،
وفي نوابض السرَرِ الواسعة..
تمتصُّ الذبابَ، ومناشفَ الورقِ، والنوم.
قال: ياللريح.
وضع ملعقته على المائدة. خرج.

سننتظرُ طوال الليل عودته
مُسقطين بين برهةٍ وأخرى
مكعباتِ ثلجٍ صغيرة
في الدورق.

٩/١١/١٩٦٩

***

توعُّك

كان مريضاً تقريباً في الصباح التالي.

فلقد نُفخ بالكلمات، الليلةَ الماضيةَ.

إنه لا يحتملُ الكلماتِ. لا يستطيع أن ينفضها عنه.

إنهم يصبغون بالأبيضِ الناصعِ، البيتَ عبرَ الشارعِ،

بياضٌ غير لائق.

أصواتُ أهلِ الديكور تتعالى في الضوء الشتوي.

أحدهم، على قمة السقف، كان يعانق المدخنةَ

وكأنه ينكحُها.

قطرات ثخينة من الطلاء الأبيض ترشّ الترابَ الأسود

ذا الأوراقِ المتعفّنةِ.

١٤/ ١٠/ ١٩٦٩

***

مفترقات طرق

آثارُ عجلاتٍ من عرباتِ خيلٍ تائهةٍ، على الدرب الموحل.

كانت المقبرةُ هادئةً بعد المطر.

قطراتٌ تتعلّقُ لامعةً على وجوه الشواهد.

كما لو أن التماثيل بكت دون عاطفةٍ، الليلة الماضيةَ.

الجميعُ أسرعوا عائدين.

توقفت امرأةٌ، ونظرت إلى الخلف: ـ

صلبان، فوانيسُ صدئة، أجنحة رخامٍ، ياقات رخامٍ ـ

لقد نما العشب.

قال الرجلُ: «تعالي»، جذَبها من يدها.

توقفا جانباً ـ

مرت عربةُ الخيلِ الأخرى في الاتجاه المعاكس. تجرّها ثمانية
خيولٍ صغيرةٍ ـ

الخيول ترتدي غماماتٍ حُمراً، وعلى رأسها شرّاباتٌ ذهبٌ.

٢٦/ ١٠/ ١٩٦٩

***

قبل النوم

رتّبتِ البيتَ. غسلتِ الصحونَ.
كل شيءٍ هادئ الساعة الحاديةَ عشرةَ.
خلعتْ حذاءها لتنام.
تأخرتْ.
تلبّثتْ عند حافة السرير.
هل نسيتْ شيئاً. بحيثُ أن يومها لا يريد أن ينتهي؟
ـ البيتُ، إذًا، ليس متقناً، ولا السريرُ، ولا الطاولةُ ـ
وبدون وعي، رفعتْ جورَبها أمامَ المصباحِ، لتجدَ الثقبَ.
إنها لا ترى شيئاً.
ومع هذا، فهي متأكدة أنه هناك ـ قد يكون في الحائط.
أو في المرآة ـ
عبرَ هذا الثقبِ، تسمعُ شخيرَ الليلِ.
ظلَّ الجوربُ على الملاءة، شبكةً في ماءٍ باردٍ
تقطعُها أسماك صفر عمياءُ.

١٩٦٩/١٠/٢٨

***

للتصليح

نادِ مصلّحَ الأنابيب
نادِ الكهربائي
نادِ النجارَ، الصبّاغَ، البنّاءَ
ـ فالحائطُ، والسلّمُ، والطاولةُ، والسقفُ، والأريكةُ،
تتداعى أشلاء،
والفراشُ، وساعة الجَد ـ
نادِ ـ الخافرين ـ
الحنفيّاتُ تقطرُ طوالَ الليلِ ـ إنها لا تتركني أنام ـ
نادِهم
أريدُ ـ حسب ـ أن أرى أيديهم
وقمصانَهم المفتوحةَ التي لطّختها أدواتهم
التي لطّخها الزيتُ الثقيلُ
التي لطّخها الغسيلُ
التي لطّختها الطماطمُ إذ أكلوها في ضوء الباحة

أو التي لطّخها لقاح زهرةٍ أهدتها لهم، سراً
الخادمةُ العجوزُ.

٢٠/ ١٠/ ١٩٦٩

***

فأل

نسيتْ نَفسها وهي تنظر إلى نورس يطير
عبر العاصفة البحرية التي تغمرها الشمسُ.
وانتشرت على وجهها ابتسامة، رقيقة، خفيفة...
وهي تتابع حركاتِ الطير.
حتى حطَّ مرتجفاً قرب أذنها،
وكأن له وزن قرطٍ من اللؤلؤ.
حنت رأسها.
فرّ الطائرُ.
على التل، كان بيتُ الحاكم ما يزال يحترقُ.

٢٠/١٠/١٩٦٩

***

العناقيد الأخيرة

العناقيدُ الأخيرة. جمعت في حوض فخّار.
الكنيسةُ في الوادي. المغلقة الآن بعد الاحتفال.
صامتة مرةً أخرى.
وهي تنشر فضاءها الداخلي على التلالِ المواجهة،
الشموعُ مطفأة على حواملها.
وضبابُ البخورِ ينسلّ بطيئاً.
لازوردياً شاحباً.
خلال أكواخ الحقول.
نظرت العجوزُ إلى السحاب.. وأنصتت إلى صريرِ الأرضةِ
في أيقونة الخشب العتيقة.
رسمتْ على نفسها علامةَ الصليبِ.
وهي تحسُّ بلزوجةِ أصابعها من سكّرِ العناقيد الأخيرة.

٣٠/ ١٠/ ١٩٦٩

***

تعليمات

المشنوق والشجرة:

آه.. لا...

المشنوق يجب أن يُترك: ـ

هذا الخط العمودي ثقيل جداً،

إنه يشطر التكوينَ نصفين،

إنه يفسد العلائقَ بين الخطوط.

قد يكونُ الخطُّ المنحرفُ أفضلَ: ـ

كثافة الهواء، بقعة حمراء، بقعة سوداء.

الظل المطابق الذي يستمر خلف الصورة، وخارجها،

طليقاً، صادقاً (لم يعد الأمر شغلك).

قد يكون ظل الطيرين اللذين يحملان نعليه المهترئين.

ويطيران عبر دكان النجار في الضاحية،

عالياً في الغيوم.

السلك (خلف الصورة)، في زاوية غير مرئية.

يمسك، بقوةٍ، الصورة المعلّقةَ من مسمارٍ في حائط غرفة الطعام.

١٩٦٩/١٠/٣١

***

استعداد

قواميسُ اسبرين أشجارٌ أوراقٌ حمراءُ صفراءُ
تفعيلاتٌ مؤقتةٌ، مهدّئاتٌ، مسكّناتٌ، مواصفاتٌ
سوءُ تفاهماتٍ، تحولاتٌ، انتقالاتٌ، انحرافاتٌ
أوراقٌ، مزيد من الأوراق، أكداسُ أوراقٍ
على الطاولةِ على الكراسيِ، على الفراشِ قوائمُ، قوائمُ
قوائمُ كهرباء، قوائمُ ماءٍ، قوائم هاتفٍ، قوائمُ من مكتبِ الضرائبِ
مدفوعةٌ منذ سنين. قوائمُ لم تسوَّ بصورةٍ نهائيةٍ من ديونٍ
غير مثبتةٍ، ديونٍ سريّةٍ، أشياءُ بنسختين، بثلاث نسخٍ
مطبوعةٍ بالألةِ الكاتبةِ، مسحوبةٍ بالاستنسل، مطبوعةٍ طبعاً رديئاً.
نسخِ كاربون بخطٍ غير ماهرٍ، ويدٍ غيرِ مترددةٍ، نسخٍ من نسخٍ
لا تتكلمْ، لا تشكُ. ما فائدةُ النومِ؟ يجبُ أن تستيقظَ مبكراً في الصباحِ
انظرْ كم الساعة. رتّبْ أورَاقَكَ. قدحُ ماءٍ على الكرسي
جواربُ على الكرسي. اذهبْ إلى السوق لتشتري صبغَ تلميعٍ
صبغَ أحذيةٍ أسودَ تصبغ به حذاءك، تصبغُ يديكَ ووجهك في المطبخ

حتى لا يخمّنَ جباةُ الضرائبِ أنك كنتَ مستعداً، بهذا السواد، بهذا الجمالِ.

١٩٦٩/١١/١

***

ترقيم

النّاسُ واقفون في الشارع، ينظرون
الأرقامُ على الأبواب لا تعني شيئاً.
النجّارُ يدقّ مسماراً في طاولة ضيقة طويلة.
شخص ما يلصق قائمةَ أسماء على عمود التلغراف.
مزقةُ صحيفةٍ تطقطقُ، وقد أمسكتْ بها الأشواكُ.
العناكبُ تحت أوراق الكرْم.
إمرأة تخرج من بيتٍ لتدخل آخر.
الجدارُ أصفرُ رطب، طلاؤه يتقشّر.
قفصٌ به كناري، في نافذةِ الرجل الميتِ.

١٩٦٩/١١/٢

***

جنود ودمى

خرائطُ، دبابيسُ، مصابيحُ، مكائنُ سحقٍ، منحدرٌ تلّيٌّ، ليل،
عجلاتٌ في عجلاتٍ، مكائدُ، إنهم يصرخون، إنهم يركضون: ـ
أين البقاءُ ـ الواحد ينادي الآخر ـ من هو العدو؟
من هو الصديقُ؟ ـ الدخانُ في كل مكان، لا تمكن رؤية شيء ـ
هم يقولون: هناك برج الكنيسةِ، تقولُ: نعم، دون أن
ترى. إنهم يصوّبون. أنت تصوّب. النسوة تُركت وحيداتٍ،
بعيداتٍ، في منازل دونَ شكلٍ، دون أسرةٍ، إنهن يصنعن
دمى من معاطفَ الجنودِ التي ثقبها الرصاصُ، أو التي ثقبتها
سجائرُ الجنودِ الذين ناموا أو ماتوا في الثلج.
دمى ناعمةً، محشوةً بالنّخالةِ، إنهنّ يصبغن أيديها
ووجوهها، وأقدامها، بالصبغةِ الحمراءِ لبيضِ عيدِ الفصحِ.
إنهنّ يقدّمنها للأطفالِ ليلعبوا بها. لكن الأطفالَ لا يلعبون.
إنهم يشنقونها على أشجار الباحةِ، ويستخدمونها أهدافاً لمقاليعهم حتى
غروبِ الشمسِ.

١٩٦٩/١١/٢

بحكم العادة

الألوانُ ثانيةً ـ أكثرُ عتمةً الآن:

الكرم اليابس

أصفر ميت،

أخضر زيتوني،

السقوف المحترقة

غيوم كثيفة

صمغية

زيتية

مثل الـ"Cold Cream"

في العلبة الصغيرة البيضاء

التي تفتحها العجوز ببطء.

وبحركةٍ شبهِ دائريةٍ من أصابعها

أخذت العجوزُ شيئاً، ونشرته، شاردةَ الذهنِ،

على وجهها،

مع أنها تعلم أن الغضون لا يمكن أن تمسَّد تماماً،
وأن القصائدَ تموت أيضاً،
أن المرآة المنتصبةَ، وحدها، هي زوجها العقيمُ الكابي،
الواقفُ بمواجهتها.
وما زالت في الحب
دون أن تحب أبداً:
خاتميهما المخبوءين في ساعة الجد العتيقة،
الساعة التي توقَّفت منذ سنين.

١٩٦٩/١١/٥

***

انحلال

أحياناً تأتي الكلماتُ من تلقاء نفسها، مثل أوراق الشجر ـ
الجذور الخفيّة، والتراب
والشمس
والماء
ساعدتْ في هذا،
والأوراقُ القديمةُ المتعفّنةُ ساعدتْ أيضاً.
المعاني يمكن أن تُلصَقَ بسهولة، مثل نسيجِ العنكبوتِ
على الأوراق،
الغبار وقطرات الندى تتألّق بالتماعات مرتعشة.
تحت الأوراق. صبية تنتزع أحشاء دميتها العارية،
قطرة تسقطُ على شعرها.
ترفعُ رأسها.
فلا ترى شيئاً
سوى الشفافيةِ الباردةِ للقطرة وهي تنحلُّ على جسدها.

١٩٦٩/١١/٦

الرجل الثالث

وقف ثلاثتُهم أمام النافذة، ينظرون إلى البحر.
الأول تحدَّثَ عن البحر.
الثاني أنصتَ.
الثالث لم يتحدَّثْ، ولم ينصت، بل كان عميقاً
في البحر،
طفا خلف زجاج النافذة، كانت حركاتهُ بطيئةً،
صافيةً، في الزرقة الخفيفة الشاحبة.
كان يستكشف سفينةً غارقةً.
قرع الجرسُ الميتُ لساعةِ السفينةِ.
فارتفعت فقّاعاتٌ دقيقةٌ، تنفجرُ بصوتٍ ناعمٍ ـ فجأةً،
سأل الأول: هل غرق؟
أجاب الثاني: غرق.
الثالثُ، نظر إليهما، عاجزاً من قاع البحر،
كما ينظر المرء إلى الغرقى.

١٩٦٩/١١/٦

بعد المطر

ظلّتْ تمطر أياماً. وكلّ ما أراد أحدهم أن يخبرَ به الآخر،

بعد أن جرى تمحيصهُ بعناية -

تأجّلَ.

وانطوى.

وحُمل بعيداً في حقائبهم.

لقد غادروا.

الآن، تتمشى حلازينُ كبيرة على رخام الباحة،

حاملةً على ظهورها أبراجاً صغيرةً ونواقيسَ،

إنها تتسلق الأقحوانَ،

إنها تدخل برودةً متأنيةً.

توقفت هيلين لتنظر، وغمغمتْ،

«ترى، هل الحلازينُ سعيدة؟»

كان الآخرون صامتين.

جرجر السؤال نفسه بوثوقٍ هادئ.
تاركاً خلفَهُ خيطَ فضةٍ رطباً.

٦/ ١١/ ١٩٦٩

***

داخل النافذة وخارجها

في الخارج، غيومٌ مشمسة، وظلُّ الكنيسةِ في الوادي.
الخبزُ منشورٌ في منديل معلَّقٍ من شجرة.
الريح تهبُّ من الجبال، وتدخل متاهاتٍ صغيرةً تحت السلّم.
المرأة قرب النافذة تحوك صَدارَ صوفٍ.
والرجلُ يخلع جزمتيه، ينظر إلى قدميه -
قدميه العاريتين اللتين تخطوان على التراب.
المرأة، تضع جانباً أشياشَ الحياكة،
تنهض، تتردّد،
تأخذ الجزمتين، تضع يديها فيهما،
تركعُ،
تزحف تحت الفراش.

١٩٦٩/١١/٨

***

بالمقلوب

جذورٌ في الهواء
ووجهان بينهما.
كان البئرُ في آخرِ الحديقةِ ـ
هناكَ، رميا خاتميهما يوماً،
ثم نظرا إلى الأعلى، إلى شاهق،
متظاهرين بأنهما لا يريان العجوزَ تتغوّط
في أصيص الزهرِ الفارغِ،
وهي تقضمُ تفاحةً كبيرةً.

١٩٦٩/١١/١٠

***

إنه يقف أمام الجدار، في الفجر

عيناه مكشوفتان،
بينما صُوِّبت إليه اثنتا عشرة بندقية،
أحس بهدوء أنه فتيٌّ وأنيقٌ، وأنه كان ينبغي أن يحلق
ذقنَهُ حلاقةً جيدة،
إن الأفق البعيد الوردي الشاحب.. قد أصبح هو ـ
وأحس، أجل، أنّ أعضاءه التناسلية تستعيد وزنها الحق،
حزينة شيئاً ما في دفنها ـ حيث ينظر المخصيّون،
وحيث يصوّبون ـ
ترى، هل أصبح تمثالَ نفسِه؟
هو نفسه ينظر إليه، عارياً تماماً، في صباح ساطع
من الصيف الاغريقي، في الساحة هناك ـ
ينظر إليه منتصباً، خلف أكتاف الحشد،
خلف السائحات الشرهات،
خلف العجائز الثلاث المتبرّجات اللواتي يعتمرن قبعات سوداً.

١١/١١/١٩٦٩

تعطّش

سأل: «حتى للموت؟».

أجاب هو نفسه، «نعم، حتى للموت أيضاً».

سأل ثانيةً، «لماذا؟». «لا أعرف، لا أعرف».

كان ينظر إلى أظافره الطويلة السوداء.

قال: «من الفحم».

أحسَّ بالخجل.

بغتةً... إذ بأظافره بيضٌ ـ

لقد فشلَ تقليدُ عاملِ منجمِ الفحم.

١٢/١١/١٩٦٩

***

منظر طبيعي أبيض

غادَرَ، دون أن يلحَظه أحدٌ،
لم تُسمع حتى خطوةٌ واحدةٌ عند الباب.
كان أمراً لا يصدَّق أن المطرَ لم يهطل طوال الليل.
النهار التالي نورُ شمسٍ شتائيٍّ غير منتهٍ،
مثل امرئ يحلق لحيته في حمامٍ أبيض
أمام مرآةٍ مسحتها يدٌ خفيةٌ
بقطعةِ ورقٍ ناعمة رطبة.
الموس عمياء. الجلدُ يتحوّل أحمرَ
اللحيةُ أجزاءٌ حليقةٌ، وأجزاءٌ غيرُ حليقةٍ.
ثم تلك الرائحةُ المربكةُ لماء الكولونيا.

١٩٦٩/١١/١٢

***

الغائب

عبرَ، بصمتٍ، من غرفة إلى غرفة.

بين الغرفة والأخرى مساحاتٌ فارغةٌ ـ

غرفةٌ مليئةٌ، والتاليةٌ خاليةٌ، وهكذا.

مربّعاتٌ متعاقبةُ الألوانِ، أسود، أبيض، زُليج الممر،

مربعات في الواقع ـ

بغتةً،

تلك الضجةُ.. كما لو أن حذاءهُ رفس شيئاً معدنياً

أُلقي، عَمداً، على الأرضيةِ،

أو على القائمةِ الحديدِ للسريرِ الكبيرِ العتيقِ

السرير الذي كان تحت مُلاءتهِ

معطفٌ بني يابسٌ،

قد اتخذ شكلَ شخصٍ نائمٍ، يتظاهرُ بأنه ذلك الذي غادرَ.

١٢/ ١١/ ١٩٦٩

***

مغادرات، ٣

بطيئاً، تخوى الأشياء،
مثل تلك العظام التي يجدها المرءُ
على الشاطئ، صيفاً ـ
عظام أحصنة، أو عظام حيوانات ما قبل التاريخ،
إنها خاوية مما بداخلها، النخاع.
كل ما يتبقى بياضٌ صُلب، شحّة في اللون، وثقوبٌ خفيّة،
مثل اللون الذي تتخذه الغرف حين يهطل المطر عنيفاً.
أنت تمسك بمقبض الباب، أو بعروة كوب الشاي،
وأنت لا تدري، أأنت الممسك بهما، أم أنهما الممسكان بك.
وفجأة، بينما توشك أن تشرب شايك،
ترى بين أصابعك العروةَ الخزفَ وحدَها،
ـ الكوبُ مفقودٌ ـ وتتفحّص العروة: ناصعة البياض،
خفيفة جداً، تكاد تكون عظماً ـ وترى أنها جميلة،
تشبه نصف صفر ـ وهي تحنُّ إلى أن تكتمل،

بينما، هناك، في الحائط، خلال صدعٍ عميق..
ينساب مجرى دافئ من الشاي الذي لم تشربه.

١٩٦٩/١١/١٣

***

من الذاكرة

أشعةُ اكس قديمةٌ لرجال مسلولين.
في مظاريفَ صفرٍ كبيرةٍ، بأعلى خزانةِ الملابسِ،
مليئة بالغبار ـ
ليلة بعد ليلة حين يصفر القطارُ في الضواحي،
ليال بحوامل شموع طوال.
على الأرض تنتثر مربعاتُ ورقٍ صغيرة
كانت تضمُّ مسحوقَ مداواةِ السعالِ ـ
حين انسكبَ القدحُ على الملاءاتِ، مَدَّ ساقيه خارجاً ـ
كانت ركبتاه هزيلتين، وكان الشعرُ جافاً ـ
كان لديه انتصابٌ ـ
طرقٌ على الباب
طرقٌ شديدٌ.
غطّيناه بسرعة، وركضنا نحو الممر،
وقفنا خلف الباب، وأنصتنا،
لم يطرقوا ثانيةً.

١٤/١١/١٩٦٩

مطر

وحيداً يسيرُ في المطرِ
يبلغ منزلهُ،
ينفضُ معطفهُ المطريَّ في الممرِّ، ويعلّقهُ،
يرتقي السلَّمَ
يقف أمام النافذةِ،
ينظر إلى المطر من وراء الزجاج،
ويتذكّرُ المفاتيحَ القديمةَ الصدئةَ على مصطبةِ السردابِ،
يتذكّر أن المطرَ لا يهطلُ أبداً في المرآة
وأنّ الأمر كلَّه بلا معنى: أمطرتْ أم لم تمطرْ.
أجسادُ النساءِ، رماديةِ الآن، بخطوطٍ سودٍ.

٢٨/ ١٢/ ١٩٦٩

***

حلقة

الصوتُ نفسهُ، أكثر خشونةً الآن، أخبره وهو يلهث.
«من هنا أبدأُ. من هنا أنتهي» ـ دائماً الأمر نفسه.
حلقةٌ دائريةٌ، وفي الحلقةِ
السريرُ الخالي
أو الطاولةُ العارية
ذاتُ المصباحِ الذي يضيء يدين تتحرّكان عشوائيتين
منتزعتين قفازَي مطاطٍ طويلين.

١٩٦٩/١٢/٢٨

***

ما يزال

لا مزيد من الاكتشافاتِ في هذا الوهجِ الباهرِ كالبرقِ،
ولا حتى من مخترعاتٍ ذكيةٍ.
الأشياءُ التي حوله،
الفرشاةُ، المشطُ، المنفضةُ
فقدتْ، تدريجاً، ملموسيّتها الجميلةَ..
فاقدةً بهذا، رمزيتها.
كان الصمت يطبق عليه، لقد خنقه.. دافئاً مطمئناً.
لكنه ما يزال يحسُّ
فوق رأسه، عبر سطحِ الماءِ الذي لا يتموّجُ
بزورقِ الطفلِ الورقي، طافياً، جميلاً بعض الشيء،
بقشرةِ برتقالةٍ متوهجةٍ
وبمنديلِ الغريقِ.

١٩٦٩/١٢/٢٩

***

أرقٌ طريٌ

إنه يوقف، بغتةً، نومه

إنه لا يريد أن يبقى في العتمة الناعمة

يستنجد بصوته. قائلاً: «أنا هنا»... ويشير.

يرفع مصباحَ الزيتِ القديمَ...

يرفعه أعلى

فأعلى:

الضوء يومض، بمحاباةٍ حنونٍ، على وجوه أولئك النائمين،

على الأسرّةِ الخشبِ

على البطّانيّاتِ الخشنةِ،

قدح،

شاب قوي يقول: «خفارتي».

لم يُخوّله أحدٌ.

إنه حارسُ الأرقِ قد عيّنَ نَفسَه بنفسه،

يحرسُ نومَ الأبرياء.

العجوزُ النحيفُ يفتح إحدى عينيه نصفَ فتحةٍ، ويصيحُ:

«أطفئ الضوء.. بحق اللَّه».

إنه يستدير مواجهاً الجدار.

مخفياً الضوء بجسده

كأنما قد سرقه.

١٩٦٩/١٢/٣٠

***

براعم غير طبيعية

أراد أن يصرخَ ـ لم يستطعْ تحمّل الأمرِ أكثر.
لم يكن ثمة أحدٌ ليسمع.
لا أحد يريد أن يسمع
وهو نفسهُ كان خائفاً من صوته،
أغرقَ صوتَهُ في داخِلهِ.
سينفجرُ صمتُهُ.
تطايرت أشلاءٌ من جسدهِ في الهواءِ.
سيجمعها معتنياً، صامتاً.
ويُعيدها، إلى أماكنها ليملأ الثقوبَ.
وإنْ وجدَ زهرةَ خشخاشٍ، سوسنةً صفراءَ
فسيجمعُها أيضاً، ويضعها في جسده،
كما لو أنها بضعةٌ منه ـ
هكذا كان، مليئاً بالثقوب...
متبرعماً بشكلٍ غريبٍ.

١٩٦٩/١٢/٣١

بيت ذو ثلاثة طوابق، وسرداب

في الطابق الثالث، يعيشُ الطلبةُ الفقراءُ الثلاثةُ.
في الطابق الثاني، تعيشُ الخيَّاطات الخمسُ مع كلبيهنّ.
في الطابق الأول، يعيش المالكُ مع ابنته المتبنّاة.
في السرداب، السلالُ، والجرارُ، والجرذانُ.
الطوابقُ الثلاثةُ تستعمل السلَّمَ نفسه.
الفئرانُ تتسلق الجدارَ.
وفي الليل، حين يمرُّ القطارُ، ترتقي الجرذانُ
إلى السقف، عبر المدخنةِ،
وتنظر إلى السماءِ، الغيومِ، درابزوناتِ الحديقةِ،
أضواءِ المطاعمِ،
بينما تُغلق أكبر الخيّاطاتِ سناً، النوافذَ
وفمُها مليء بالدبابيس.

١٩٦٩/١/٢

***

من مجموعة: **الممّر والسلّم** ١٩٧٠

انهيار

قصاصاتُ ورقٍ، أنقاضُ حديدٍ، أقوالٌ صدئةٌ، قصائد،
كرسيٌّ فارغٌ على طاولة فارغة في بيت فارغ : ـ
أنت تعرفهم جيداً، ما زلت تتظاهر بأنك لا تعرف شيئاً ـ
لتَخدعَ، لتُخدعَ ثانيةً،
لتَتملّقَ، لتُتملّقَ (الآن دون ابتسام) ـ
قلت : كان واجبك ـ أي واجب؟ ـ
إنك تسدّ الهوّةَ السوداءَ بجسدك،
بينما حولك تنزع الراياتُ جِلدَها،
مثل أوراقٍ، صفرٍ، كبيرةٍ، ذانِ لوتٍ واحدٍ.

١٧/ ٢/ ١٩٧٠

***

المكشوف

ليالٍ، شوارعٌ، وجوهٌ، أضواءُ ـ
أقنعة موت،
باب يُفتح، نافذة تُغلق.
ثلاَّجه المرأة الميتة كانت ملأى بالطعام
العميان يقفون صفاً في المحطةِ تحت الأرضية ـ
«لنشترِ شقةً»
«لنشترِ سيارةً جديدةً»
«الظل يختفي خلف الستارةِ»
السيرك أُقيمَ في الساحة،
مكبراتُ الصوت تنفجرُ،
الناس يركضونَ، إنهم يتوقَفون،
إنهم يأكلون واقفين.
ينامون واقفين.
يتناسلون واقفين.

قال: «إنهم يضاعفون الموت».
(قالها وهو يستدير نحو الجدار).
الموتى وحدهم، يظلون مستيقظين وهم ممددون،
الموتى فقط.
عُيونهم مشعةٌ، كالفوسفور.
إنهم يُشعلون ثقوباً في الليل،
ونحن ننتظر،
خلال هذه الثقوبِ، نحن نرى:
الوجه، والأضواءَ، والحرابَ، والسياراتِ،
حوض الفخّارِ، وسلّم الحديدِ،
والخبزَ، والسكينَ، والخراءَ، والمنيَ، والعظمَ،
والمرأة ذاتَ السمكةِ الميتةِ،
والحوضَ المكسورَ والسلّمَ المعكوسَ.

١٨/٢/١٩٧٠

***

مُراقب

تلكما العينان (مجوّفتان)

تتبعانا، تتبعانك.

أنت لا تستطيع الفرار،

غادر.

تنكَّرْ.

إنهما تريانك، تعرِّيانك.

مسجلتين،

آلاف الايماءات عديمة المعنى،

على السكون الكبير.

مسجلتين،

السريرَ المتداعيَ،

وسيفَ الورق المقوى،

والأقنعةَ السبعة،

والكلماتِ، والأشعارَ، والقصائدَ ـ

جدرانُ زجاج، ثياب زجاج.

تبغ السجائر زجاج ـ مصادرات جديدة:

الاحتياط. أيضاً، استدعوا وجبة بعد وجبة،

المرأة العجوز تعمل في مصنع الزجاج تحت الأرض.

استمرار، زمن، إعادة.

هاتان العينان، ليستا زجاجاً، انتظر. لا شيء.

١٩/٢/١٩٧٠

***

ما الفائدة؟

الأشياءُ تشيخُ، تُبلى، تغدو بلا فائدة ـ

التبغ المهرّب، الغرف الموصدة،

الرايات، الموتى، المناشير، التماثيل،

الستارة البيضاء تصبح صفراء،

المرأة المخدوشة، والوجه الذي فيها.

عَثَّةٌ ابتنت عشها في الثوب الجميل الذي ارتديتهِ تلك الليلة.

المقهى في ركن الشارع، أغلق.

الشرفة انهارت بين نبات القرّاص.

التمثال في الحديقة افتقد قضيته ـ

إذًا..

ما فائدة الحزن، والكره؟

ما فائدة الحرية، وانعدام الحرية؟

ما فائدة الملاعق الفضة، والمدّخرات؟

ما فائدة الأسنان الذهب الاصطناعية للمرأة الميتة؟

ما فائدة الشمس؟

ما فائدة حاملي الشموع على المائدة؟

ما فائدة الاسبرين؟

الحُب؟

الشِعر؟

كان يوماً مشمساً ـ تموز ـ

كانوا يلفّون الخبزَ في منديل شاي.

والزورق الصغير يقلع،

كانوا يحرقون جرائد في قبعة قش

وسط الماء.

١٩٧٠/٢/٢٠

***

المهجو

الموتى منسيّون. إنهم ينسون.
ثيابهم تبلى في الخزانات.
المرأة الميتة، أخذت إلى المشرحة.
طيور الكناري تصرخ مذعورة في أعلى السلم.
الجيران يومئون من نوافذهم.
الزبّال يمر في الوقت المحدد.
الأجراس، صفائح القمامة، الصواني الورق،
أوراق الخس المتعفنة، الخيوط الحمر.
أيدٍ قذرة في الجيوب.
المتزوجان حديثاً يدخلان استديو المصور الفوتوغرافي
عبر الشارع
فجأة.. أتت الظهيرةُ. اعتم كل شيء.
الأعمى الملتحي، منحنياً، ما زال ينظر
خلال ثقب المفتاح في الباب الموصدِ بالمسامير.

٢٠/ ٢/ ١٩٧٠

السبت، ١١ظهراً

النسوةُ يجمعنَ الملابسَ من حبل الغسيلِ.

مالكةُ المنزلِ تقف في مدخل الباحةِ.

واحدٌ يحمل حقيبةً.

الآخرُ يعتمر قبعةً سوداءَ.

لقد قطعا هاتف هيلين.

بائع اللقيمات، ينادي، «لقيمات، لقيمات ساخنة».

عازف الكمان الشاب عند النافذة، يقول:

«لقيمات ساخنة، صفر ـ مستدير».

قذف بكمانه إلى الممشى.

الببغاء تنظر عبر كتفي الخبّازُ.

مالكةُ المنزلِ ترنّ مفاتيحها.

النُسوة الثلاثُ يدخلن، ويغلقنَ البابَ.

١٩٧٠/٢/٢٠

***

في الفراغ

الماءُ يسقطُ على الحجرِ،
صوتُ الماء،
في شمس الشتاء،
صيحةُ طائرٍ وحيدٍ.
في السماءِ الجوفاءِ.
يبحث عنا ثانية..
ملمّحاً.
(إلامَ ـ أجلْ ـ يُلَمّحُ؟)
ساقطًا.
من الأعالي،
على الحافلاتِ الواقفة،
مليئةً بسيّاحٍ ماتوا منذ قرون.

١٩٧٠/٢/٢٢

***

بلا تراطب

الطفلُ يصرخُ في الغرفة ذات المدفأةِ.

القسيس يهبطُ من التل.

في الأسفل، الجبال الأخرى.

ثلجٌ. غيومُ. أشعة شمسٍ. زجاج نوافذَ.

الغرابُ في الأعالي.

وظلّهُ على الأرض

هنا، هنا،

غائبٌ.

حاضرٌ

وفي الغيابِ الشاملِ ـ

الريحُ القارسةُ تلوحُ في الشارع

صورة فوتوغرافية ملوّنة

لفريق لاعبي كرة قدم، مألوف.

١٩٧٠/٢/٢٢

غير مقبول

يقفُ أمام طاولةِ المرمرِ، إنه يثابرُ.
بكسرِ قالبَ ثلجٍ بمطرقةٍ صغيرةٍ.
شظايا تتطاير، تذوب.
البردُ يرهق أصابعهُ، وجسدهُ.
إنه يثابر.
يقول، تمثالٌ من الدفء ـ الدفءِ الغائبِ،
المرغوب، الثلجُ يذوبُ.
هديرُ الماءِ يُسمَعُ في المياهِ في الجدرانِ،
وتحت الأرضية، تحت الزليجِ الأسودِ والأبيضِ للمطبخ،
في أنبوبِ المجاري الفخّاري في الباحة،
تحت الأرض بين الجذور المتعطّشة.
المريضةُ تنادي من داخل الغرفة.
يمسح يديه سريعاً بمنشفةٍ.
يوقد مصباحاً.

يداه ترتجفان.

يقول: «حاضر ـ سآتي به»

الضوءُ يرتعشُ على السريرِ الواسع،

على البطانيات المهترئة المليئة بالثقوب.

الماء يجري في الميازيب،

وكلاهما يعرف.

١٩٧٠/٣/٤

***

تحيّز

بذلك التحيّز الذي يتسم به من لا يطيع الموتَ،
ذلك التحيز الماكر. المنافق، المستميتِ،
كان يؤكد أشياء غير مهمةٍ أو غير موجودةٍ ـ
ريشة الطائر الميت على الأشواك
صُدْعُ نافذة في الجدار الأصم.
الخطوط على الجدار ـ
رسم على جرّة،
رامي القوس مع الزنابق الواسعة،
رامي القوس يصوّب إلى شيء غير مرئي، في البعيد،
بينما يُرفع الميتان، بعناية، مستديري الظهر،
وأمام النافذة:
الملاءة البيضاء المربّعة المنبسطة.

٤/ ٣/ ١٩٧٠

***

الأمور الجوهرية

إنه يخيط، بإهمالٍ، الأزرار على سترته،

بأبرة ثخينة، وخيط ثخين.

ويتحدث إلى نفسه:

هل أكلتَ خبزكَ؟

هل نمتَ جيداً؟

هل كنتَ قادراً على الكلام؟

هل كنتَ قادراً على مدّ ذراعك؟

هل تذكَّرتَ أن تنظرَ من النافذة؟

هل ابتسمتَ حين سمعتَ طرقاً على الباب؟

إن كان هو الموتُ دائماً ـ

فهو يأتي تالياً.

الحريةُ، أبداً، هي الأولى.

٤/ ٣/ ١٩٧٠

***

الواعي

لا، لا ـ يقول ثانية. لا، لا.

قلب ملابسه، داخلها خارجها،

قلب كأسه، عاليه سافله،

حول الماء، داخله وخارجه.

لبس حذاءيه في يديه.

لبس قفازيه في قدميه.

يقولون له: «أنت كذّاب».

إنهم يغدون غاضبين.

النسوةُ الثلاثُ يضحكنَ في الشرفة.

إنه لا يجيب.

إنه يظل بل حراكٍ.

ذبابةٌ تجلس على خده.

النسوة الثلاثُ يضحكنَ في الشرفة.

إنهن شاباتٌ. إنهن ذواتُ حفيفٍ.

هذا ما يريده.

٤/ ٣/ ١٩٧٠

***

فرار

عياداتُ جراحةِ الأسنانِ تضاعفت في ضاحيتنا الفقيرة.
وكذلك الصيادلةُ، وصانعو التوابيت.
والأمسيات
مصابيحُ ضوء أخضر على الأبواب التي يتقشَّر طلاؤها.
خطوط ضوء طويلة
حنفيةُ ماءٍ ظلت تسيل، منسيةً، طوال الليل
في زقاق «كرو»، أمام دكان الأزهار، ومحل الحلاقة.
أحدهم يمسح حذاءه قبالة البابِ.
مستغرقاً وقتاً طويلاً.
وكأنه يوشك أن يدخلَ قاعةً فارغةً
ذاتَ أرضيةٍ رخاميةٍ، مصقولةٍ.. برّاقةٍ،
المكانُ غيرُ مألوف،
ومثلُه خطواتُ الرجلِ غيرُ المألوفةِ،
وانعدامُ النوافذِ

والصمتُ

والمفتاحُ

والمنديلُ.

١٦/ ٣/ ١٩٧٠

***

إحياء ذكرى

اليدُ الحجرُ الفتيةُ على الكرسي،

والجسدُ مقطوع الرأس أمامَ المرآة.

وفتى ذو نعلٍ رخاميّ يسير في اتجاهٍ آخر (بحذرٍ)

بين التوافهِ: أزهارِ الورقِ، والزنبق الأخضرِ.

قال: «في الأقل.. هذه. لم تَضِعْ. لم يَضِعْ كل شيء ـ

أنت تدري» ـ

وأضاف: «لا شيء ضاعَ»

(كانت آثارُ التعذيبِ باديةً على يديهِ)

العجوز أعادت: «لا شيء ضاعَ».

بينما كانت تنظفُ الحنطةَ في قِدرٍ نحاسٍ واسعٍ.

ـ «لا شيء، لا شيء»...

كرّروا هذا، مائلين برؤوسهم على أكتافِ بُخارِ المطبخِ.

جاءت العمةُ «لا لو» بالصينية والسكر،

وضعتهما على الطاولة، ووقفتْ جانباً،
واستدارتْ إلى الجدار، تلعقُ أصابعها.

١٧/ ٣/ ١٩٧٠

***

تاريخ زمني

* في ١ أيار ١٩٠٧ (أو ١٩٠٩) ولد ريتسوس، بقرية مونموواسيا اليونانية، التي تتسم بطابع القرون الوسطى.

* سنة ١٩٢٤ أصيب بالسل.

* سنة ١٩٢٦ انهى دارسته الثانوية وانتقل إلى أثينا، حيث بدأت مغامرة حياته الكبرى: الأعمال المختلفة، والشعر، والفكر الثوري.

* سنة ١٩٣٤ أصدر ديوانه «التراكتورات».

* سنة ١٩٣٥ أصدر ديوانه «الاهرامات».

* سنة ١٩٣٦ أصدر «كتابات على القبر».

* أحرقت هذه المجموعة في أثينا، العام نفسه، أيام نظام ميتاكساس الفاشستي.

* سنة ١٩٣٧ أصدر «أغنية شقيقتي».

* سنة ١٩٣٨ أصدر «سمفونية الصيف الأول».

* سنة ١٩٤٠ أصدر «سير الأوقيانوس».

* سنة ١٩٤٢ أصدر «السينما».

* حتى سنة ١٩٤٤ شارك في المقاومة ضد الألمان والانجليز.

* بين ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ شارك في الحرب الأهلية.

* عام ١٩٥٢ أطلق سراحه، بعد أربع سنوات من النفي في الجزر.

* عام ١٩٥٤ تزوج.

* عام ١٩٥٥ كتب «نجمة الصباح» لطفلته الوليدة.

* بعد هذه السنة، قام بزيارات إلى بلغاريا وجيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتي ورومانيا. وقد نشر قصائده عن رومانيا في ديوان أسماء «هندسة الأشجار».

* عام ١٩٥٦ منح ديوانه «سوناتا ضوء القمر» جائزة الشعر العالمية، في وطنه اليونان.

* عام ١٩٦٦ زار كوبا.

* عام١٩٦٧ يلحن ميكيس ثيودوراكيس قصائده.

* ليلة ٢١ نيسان اعتقل مع آلاف المثقفين والتقدميين في سجن هيبوتروم، ثم نفي إلى جزيرة ليروس، وبعدها إلى جزيرة ساموس.

* في هذا العام قامت حملة عالمية لاطلاق سراحه.

* منذ عام ١٩٦٧ منعت دواوينه في اليونان.

* عام ١٩٧٠، أطلق سراحه، بعد اشتداد وطأة مرضه، وتزايد الضغوط العالمية المطالبة بحريته.

* ابتداء من عام ١٩٧١ بدأت مجموعاته الشعرية تطبع، مترجمة، في انجلترا، وكانت «ايماءات» أولاها.

* عام ١٩٧٦، نشرت له، في فرنسا فقط، ثلاثة دواوين.

* عام ١٩٧٦ حصل على جائزة ديمتروف العالمية.

* في المهرجان الشعري العالمي، ببلجيكا، حاز جائزة الشعر الكبرى.

* عام ١٩٧٧ حاز جائزة لينين.

* عام ١٩٧٧ قدمت على مسرح «جايتيه مونبارناس» مسرحيته الشعرية «اسمين» باشراف مباشر من اراغون.

* في العام نفسه صدرت في فرنسا مجموعته (الحائط في المرآة).

* أصدرت دار غليمار «الأعمال الكاملة» لريتسوس: بعد أن تمت ترجمتها علي يد مترجم واحد.

* ظل مرشحاً لجائزة نوبل حتى وفاته.

المحتويات

لماذا ترجمت يانيس ريتسوس؟ ٥

من مجموعة: أحجار١٩٦٨ .... ٧

تلاشٍ ٩

شيء لم ينجز ١١

إخبار ١٢

لا، لا ١٤

عمل أولي ١٥

بالاكراه ١٧

من مجموعة: إعادات ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ .... ١٩

غائبون ٢١

قبور الأسلاف ٢٣

بعد الهزيمة ٢٥

وأحكي عنهم ٢٧

بعد انهيار المعاهدة بين الأثينيين واللاسيدامونيين ٣٠

خراب الآرجو ٣٣
حياتنا في فيرس ٣٥
يأس بنيلوب ٣٧
محراث، بذاته ٣٩
من مجموعة: إيماءات ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ .... ٤١
منتصف الليل ٤٣
في العتمة ٤٥
قرارات غير مؤكدة ٤٦
تأرجح ساكن ٤٨
هكذا؟ ٥٠
إهمال ٥٢
بعد المطر ٥٤
مشاهدة ٥٦
الريح في الأقل ٥٨
توعُّكٌ ٦٠
مفترقات طرق ٦١
قبل النوم ٦٢
للتصليح ٦٣
فأل ٦٥
العناقيد الأخيرة ٦٦
تعليمات ٦٧

استعداد ٦٩
ترقيم ٧١
جنود ودمى ٧٢
بحكم العادة ٧٣
انحلال ٧٥
الرجل الثالث ٧٦
بعد المطر ٧٧
داخل النافذة وخارجها ٧٩
بالمقلوب ٨٠
إنه يقف أمام الجدار، في الفجر ٨١
تعطّش ٨٢
منظر طبيعي أبيض ٨٣
الغائب ٨٤
مغادرات، ٣ .... ٨٥
من الذاكرة ٨٧
مطر ٨٨
حلقة ٨٩
ما يزال ٩٠
أرقٌ طريٌ ٩١
براعم غير طبيعية ٩٣
بيت ذو ثلاثة طوابق، وسرداب ٩٤

من مجموعة: الممّر والسلّم ١٩٧٠ .... ٩٥
انهيار ٩٧
المكشوف ٩٨
مُراقب ١٠٠
ما الفائدة؟ ١٠٢
المهجو ١٠٤
السبت، ١١ظهراً ١٠٥
في الفراغ ١٠٦
بلا تراطب ١٠٧
غير مقبول ١٠٨
تحيّز ١١٠
الأمور الجوهرية ١١١
الواعي ١١٢
فرار ١١٤
إحياء ذكرى ١١٦
تاريخ زمني ١١٩

هذا الكتاب

لقد أحسست، دائماً، وأنا أقرأ ريتسوس، أن وراء قصيدته جهداً عظيماً، وروحاً مصفاة، صافية، أوصلت قصيدة الحياة اليومية، لديه، إلى هذه القطعة الغريبة من البلّور.